كانت من نصيب منظمة التحرير الفلسطينية أيضاً» (ص ٢٣). وقال الكاتبان: «على غرار فشل القيادة الاسرائيلية في قراءة خارطة الاحتلال، تعثّرت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تقييم الانفجار» (ص ٢٤).

والمفاجأة في الانتفاضة «كانت انها شملت جميع فئات السكان، شباباً وشيباً، نساء وأولاداً وشيوخاً، قرويين ومدنيين، متدّينين وعلمانيين... [و] لم يكن أي من الفلسطينيين على استعداد لخرق فكرة الانتفاضة علناً» (ص ٣٠).

«ولم تكن المفاجأة التي حصلت للاردن بأقل من تلك التي حصلت لاسرائيل ولمنظمة التحرير الفلسطينية» (ص ٣٢)؛ وحتى الولايات المتحدة الاميركية فوجئت بالانتفاضة. قال الكاتبان: «ورد في تقارير جرى نقلها همساً ان الولايات المتحدة الاميركية قررت عقد اجتماع سري في العقبة قريباً باشتراك ممثلي وزارة الخارجية الاميركية وكبار موظفي سفارتيها في عمّان وتل ـ أبيب... وتقرّر ان يجرى البحث في العقبة حول اعتماد ٢٣ مليون دولار... لتمويل جوانب من الخطة الخمسية الاردنية» (ص ٣٣).

واختتم الكاتبان فصل «المفاجأة» بـ «ان احتفالات الاربعين سنة على قيام دولة اسرائيل تعرقلت. وتلقّى الاسرائيليون تذكيراً خطيراً في حدته بأنهم لم يعودوا يستطيعون التهرّب من المشكلة الفلسطينية المطروحة في أحضانهم» (ص ٤٩).

جاء الفصل الثاني من الكتاب بعنوان «الرواق». وعرض الكاتبان فيه المرحلة التي سبقت انفجار الانتفاضة، بادئين بحادثة هرب ستة سجناء فلسطينيين من سجن غزة في ١٨/٥/١٩٨٧. وبدلاً من ان يهرب، أو يختفي، هؤلاء السجناء، بدأوا نشاطاً متميّزاً في قطاع غزة ضد قوات الاحتلال الاسرائيلية. وركّز الكاتبان على شخصية قائد المجموعة، عماد الصفطاوي، والمجموعة تتبع تنظيم «الجهاد الاسلامي».

واستعرض الكاتبان، في هذا الفصل أيضاً، النشاطات الجماهيرية داخل الاراضي الفلسطينية المحتلة، ونشاطات المنظمات الفلسطينية؛ كما استعرضا أنماط التفكير التي سادت في الأوساط الفلسطينية داخل، وخارج، الارض المحتلة، وخاصة في أوساط قيادة منظمة التحرير الفلسطينية.

أمّا في الفصل الثالث المعنون بـ «غضب الكادحين»، فقد عرض الكاتبان الاوضاع المعيشية للسكان الفلسطينيين تحت هيمنة سلطات الاحتلال الاسرائيلية، واستنتجا انه «ليس هناك أي شك في ان الانتفاضة قد نشأت، فعلاً، من ظروف المحنة المعيشية والضنك التي ظل اللاجئون يرزحون تحتها في ظل الحكم الاسرائيلي» (ص ٨٣). وتحدّثا، أيضاً، عن ممارسات السلطة والمجتمع الاسرائيليين تجاه الفلسطينيين كسلطة ومجتمع استعماريين»، حيث لم تعد هناك روادع، أو كوابح، أخلاقية، أو سياسية» (ص ١٠٧) في ممارسات الاسرائيليين ضد الفلسطينيين.

وفي الفصل الرابع، تناول الكاتبان الصراع على السيطرة على زمام الأمور بين سلطات الاحتلال والشعب الفلسطيني. وعنوان الفصل «فقدان السيطرة» يوضح فشل قوات الاحتلال في مواصلة فرض هيمنتها على السكان الفلسطينيين. بدأ الكاتبان الفصل بنشاطات الأخوين محمد وماجد اللبدي، وهما ينتميان الى الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، لكن «كان هناك آلاف من النشيطين من أمثال الاخوين اللبدي» (ص ١١٦). ونشاط هؤلاء النشطاء، الذي تواءم مع الهبّة الجماهيرية، أفقد اسرائيل «سيطرتها على السكان الفلسطينيين... فقد تحطّمت وسائل الاحتلال، ولم يعد بالامكان اصلاحها واعادتها الى ما كانت عليه من القوة» (ص ١١٧ ـ ١١٨). ولم يقتصر الأمر على سكان المناطق الفلسطينية المحتلة. فقد اتّسعت رقعة الانتفاضة لتشمل الفلسطينيين المقيمين في فلسطين المحتلة العام ١٩٤٨، «وأدرك الجمهور الاسرائيلي ان هناك تفاعلاً بين أحداث المناطق [المحتلة]، وما يجرى لدى عرب اسرائيل، وان هناك أكثر من بادرة واحدة لتطوّر كفاح سياسي مشترك للفلسطينيين في المناطق [المحتلة] وعرب اسرائيل» (ص ١٤٦).